Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيوية الخطاب الشعرى عند السياب(*)

كان الشاعر الألمانى "هولدرلين" يقول : "إنَّ وظيفة الشعر هى تحويل العالم إلى كلمات، فالشّعر يمتلك الواقع إذ يرسم الحدود التى تفصله عن فهمنا". وجاء فيلسوف الشعريّة المعاصرة "هايدجر" ليضع لهذه المقولة العضويّة صياغة فكريّة عاتية : "إنَّ الشعر يؤسّس للكائن بكلمات الفم.. الشّعر يهب الأسماء التى تخلق الكينونة وجوهر الأشياء. فهو ليس أى قول، ولكنّه على وجه التحديد ذلك القول الذى يستطيع بطريقته الفطريّة أن يخرج للنّور، أى للوعى، كل ما تحاول اللغّة اليوميّة أن تلتفّ حوله وتربّت عليه" (١).

امتلاك الشّعر للواقع وخلقه للكينونة عبر التسمية لا يتمّ من خلال الانزلاق على سطح المعطيات الحسّيّة ولا اقتطاف زهرات الخارج المبتذلة بطريقة تختزل تجربة الوجود فى بعد أحادي، وإنمّا يحدث فيما يبدو عندما يقوى الخطاب الشعري على الامتداد بجذوره من نسغ الحياة واسترجاع طاقته الفطريّة فى بعث ظواهرها. عندما يقوم بتشكيل وعينا عن طريق الفهم والشعور معاً، وينجح فى استثارة مظاهر الحرارة والخصوبة فى اللّغة بالتنوّع الثرى والحركيّة الطاغية. وهو بذلك يتّسق مع التيّار العامّ الجارف فى الفنّ، فقد أفضى التحليل السوسيولوجى المحدث لظواهره إلى ملاحظة كيفيّة تسرّب هذه الحيويّة إلى عروق الإبداع باعتبارها عاملاً جماليّاً، وعودتها للظهور بكامل طاقتها فى الفنّ المعاصر . فقد أعلن "هنرى مور" مثلاً : "لم يعد الجمال هدفاً لأعمال فى النحت.. فالعمل الفنّى عندى ينبغى أن تتوفّر له حيويتّه الخاصّة.. إنّه قد يتضمّن طاقة مكبوتة، حياة خاصّة مكثّفة بغض النظّر عن الموضوع الذى يقدّمه". والحيويّة بهذا المعنى – كمصطلح تقنى – بعيداً عن الفنّ الذى يقدّم حيوات الكائنات من السطح، تعد ردّ فعل ضدّ الصلابة القاتلة، المتمثّلة فى جميع عمليّات التكرار والمحاكاة، إنَّ الرّمز قد انتقل من يد الفنّان إلى يد الكاهن والمعلّم حتّى استقرّ فى يد الصانع الماهر، لكنَّه فقد نبضه الحيوى الأصيل المتدفّق من صنيع الفنّان الخلاّق، وأصبح عرفيّاً منظّماً وتجاريّاً أيضاً. عندئذ فقد الفنّان ثقته فى جميع

(*) منشورة فى كتاب "أساليب الشعرية المعاصرة" .

(١) انظر :. Read, Herbert : Imagen E Idea. Trad : México 1975. Pag 12